والقسم انما وقع بما تضمنه شأن هذه العاديات من الآيات البينات
من خلق هذا الحيوان الذي هو من اكرم البهائم واشرفه وهو الذي
يحصل به العز والظفر والنصر على الاعداء فيعدوا طالبا للعدو
وهاربا منه فيثير عدوها الغبار لشدته وتوري حوافرها وسنابكها
النار من الاحجار لشدة عدوها وتدرك الغارة التي طلبتها حتى تتوسط
جمع الاعداء فهذا من اعظم ايات الرب تعالى وادلة قدرته وحكمته فذكرهم
بنعمه عليهم في خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على اعدائهم ويدركون
به ثارهم كما ذكرهم سبحانه بنعمه عليهم في خلق الابل التي تحمل اثقالهم من
بلد الى بلد فالابل اخص بحمل الاثقال والخيل اخص بنصرة الرجال
فذكرهم بنعمه ههنا وهذا وخص الاغارة بالصبح لان العدو لم يتشمروا
اذ ذاك ولم يفارقوا محلهم واصحاب الاغارة حامون مستريحون يصبحـ
ون مواقع الغارة والعدو لم ياخذوا اهبتهم بل هم في غرتهم وغفلتهم ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الغارة صبر حتى يطلع الفجر فان سمع مؤذنا
امسك والا اغار ولما علم اصحاب الابل ان اخفافها ابعد شيء من وري
النار تاولوا الاية على وجه بعيد فقال محمد بن كعب هي الحاج اذا اوقدوا
نيرانهم ليلة المزدلفة وعلى هذا فيكون التقدير فالجماعات الموريات
وهذا خلاف الظاهر وانما الموريات هي العاديات وهي المغيرات وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس هم الذين يغيرون فيورون بالليل نيرانهم
لطعامهم وحاجتهم كانهم اخذوه من قوله تعالى افرايتم النار التي تورون
وهذا ان اريد به التمثيل وان الاية تدل عليه فصحيح وان اريد به اختصاص
الموريات فليس كذلك لان الموريات هي العاديات بعينها ولهذا عطفها
عليها بالفاء التي للتسبب فانها عدت فاورت وقال قتادة الموريات

هي

هي الخيل توري نار العداوة بين المقتتلين وهذا ليس بشيء وهو بعيد من معنى
الاية وسياقها واضعف منه قول عكرمة هي الالسنة توري نار العداوة
بعظيم ما تتكلم به واضعف منه ما ذكر عن مجاهد هي انكار الرجال
توري نار المكر والخديعة في الحرب وهذه الاقوال ان اريد ان اللفظ دل
عليها وانها هي المراد فغلط وان اريد انها اخذت من طريق الاشارة و
القياس فامرها قريب وتفسير الناس يدور على ثلاثة اصول تفسير على
اللفظ وهو الذي ينحو اليه المتاخرون وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره
السلف وتفسير على الاشارة والقياس وهو الذي ينحو اليه كثير من المتصو
فة وغيرهم وهذا لا باس به باربعة شرائط ان لا يناقض معنى الاية وان
يكون معنى صحيحا في نفسه وان يكون في اللفظ اشعار به وان يكون بينه
وبين معنى الاية ارتباط وتلازم فاذا اجتمعت هذه الامور الاربعة
كان استنباطا حسنا واضعف من ذلك كله قول ابن جريج قدحا يعني
فالمنجحات امرا يريد البالغين نجحهم فيما طلبوه وعطف قوله فاثرن فوسطن
وهما فعلان على العاديات والموريات لما فيه من معنى الفعل وكان ذكر الفعل
في اثرن ووسطن احسن من ذكر الاسم لانه سبحانه قسم افعال الخيل الى قسمين
وسيلة وغاية فالوسيلة هي العدو وما يتبعه من الايراء والاغارة و
الغاية هي توسط الجمع وما يتبعه من اثارة النقع فهي عاديات موريات
مغيرات حتى يتوسطن الجمع ويثرن النقع فالاول شانهن الذي
اعددن له والثاني نهايتهن الذي انتهين اليه والله اعلم

فصل فهذا شان القسم واما شان المقسم عليه
فهو حال الانسان وهو كون الانسان كنودا بشهادة على نفسه
او شهادة ربه عليه وكونه بخيلا لحبه المال والكنود للنعمة وفعله

Copyright © King Saud University